إضاءة

سعى المستشرق والمُؤرّخ الهولنديّ، في كتابه «تكملة المعاجم العربيّة» (1881)، إلى تسجيل ما اكتسبته الضاد من المعاني المستجدّة عبر التّاريخ، إضافة إلى متنها القديم. كما ضمّ إلى مدوّنة الفصحى مفرداتٍ من عاميّات الأندلس ومصر وسورية وغيرها

رينهارت دوزي انهماكٌ بتطوّر الضاد وتاريخها

في تكملة المعاجم العربية

نجم الدين خلف الله

أدرك المستشرق والمُؤرّخ الهولنديّ رينهارت دوزي (1820-1880) أنّ المعاجم العربيّة القديمة قد أُغلقت على الدلالات الماضية، فلم تُعد تقبل ما طرأ على الضّاد، طيلة العصور الوسطى، من مُفردات ومعانٍ مولّدة. فقد أتاح له عملُه حول «أسماء الملابس العربيّة» (1845) فُرصة الاطّلاع المعمّق على كُتُب الرّحلة والأدب وجغرافيا البلدان الإسلاميّة، وهناك اكتشف مدى تطوّر الضاد وتكيّفها مع السيّاقات الثقافيّة المتنوّعة، ولا سيما في الأندلس، حيث رقّت حواشي الحياة فتولّدت بعض المُفردات، وتوسّعت دلالات أخرى أو تغيّرت أبنيتها الصوتيّة والصرفيّة.

وهذه هي الظواهر اللغويّة التي حاول دوزي رصْدها وتقييدها في كتابه: «تكملة المعاجم العربيّة» (1881)، الذي جاء لا لتكرار نفس المعاني المرسومة في المعجمات القديمة، وإنما إضافةً وتذييلاً لما سبق وأن ذُكر فيها، حتى يكتمل فتْقُ الضاد بما عَرفَتْه من المعاني المستجدّة عبر التّاريخ، وذلك طيلة سنوات من العمل الدؤوب، قضّاها دوزي في بيته الريفي عاكفاً على المخطوطات والمطبوعات النادرة يجرّدها ويَسطرها.

وفي مقدّمة هذه «التكملة»، انتقد دوزي تعنّتَ اللغويين العرب القدامى الذين رفضوا مبدأ تطوّر الضّاد وأصرّوا على حصرها في نطاق «الفُصحى»، مُعرضينَ عمّا جرى فيها وفي الفكر الذي تعامل بها من تحوّلات طاولت معاني الكلمات وتركيبها الصوتيّ والصرفيّ. كما أنّه عاب على المستشرقين، وخاصة جورج ولهايم فريتاغ (1788-1861)، صاحب «المعجم العربي اللاتيني»، ومعاصره إدوارد لاين (1801-1876) صاحب «مدّ القاموس»، عدم العودة إلى لغة كُتب «الأدب»، بمعناه الجاحظيّ، والاستنكاف عن استخراج ما فيها لمُجرده بشكل نسقي.

كما عدّد، في هذه المقدمة، سائر مَصادره الأدبيّة والتّاريخيّة وما كُتب عنها إلى زمنه باللغات الأوروبيّة التي استقى منها مادة «تكملته». وقد أشار إلى مُدوّنة مجهولة، لعلّها ضاعت إلى الأبد، وهي الهوامش التي خطّها بعض المستشرقين على المعاجم الأوروبيّة - العربيّة، إصلاحاً وإضافةً وتعديلاً، وكانوا قد جمعوها بفضل قراءاتهم المتعدّدة في مصادرنا القديمة. فساعدته على إكمال المداخل وتعديل مضامينها وإثرائها. ولذلك، قرّر طبع هذه «الهوامش»، التي التقطها وقيّدها طيلة ثلاثين سنةً من المطالعات والمراجعات من دون إعادة شرحها، لا سيما إذا كانت الكلمة - المدخل قد سبق وأن فسّرها لاين أو فريتاغ.

ومن الطبيعيّ أن تضمّ المداخل التي رصدها العديد من الاستخدامات العامّيّة، المحكيّة في أقاليم العالم الإسلامي، مثل الأندلس ومصر وسورية وغيرها، وأن يضرب عليها دوزي أمثلة توضيحيّة من كتب الأدب الشعبيّ والأمثال والمحاورات غير الرسميّة. وبما أنّ مُنطلَق هذا الباحث الهولندي التأكيد على تطوّر اللغة العربيّة وبيان تحوّل دلالات كلماتها، فقد أشار إلى أنّ السجلّ الفصيح لم يَعد مستخدماً بُعيْد قرنَيْن من انتشار الإسلام، أي: في القرن التاسع للميلاد، حيث اهمل الاتراك والبَربر والفُرس، وحتى العرب، الالتزام بقواعد الإعراب وأسندت إلى الكلمات معانٍ أخر غير تلك التي نصّت عليها ابتداءً، وهو ما أدّى إلى «تحوير جذري للعربية» في الأقاليم الناطقة بها، ولكن بدرجاتٍ متفاوتة.

كما يعكس هذا القاموس، والذي راوده حلمُ تحقيقه منذ كان في العشرينيات من عمره، ما كان سائداً في عصره من النظريّات اللغويّة المتأثرة بالبيولوجيا وعلم الأحياء وما باطنها من نظريات النشوء والتطور الداروينيّة، وهي التي تعتبر اللغة كائناً حيّاً يتطوّر، وهي كذلك دون شكّ، ولكنّ ليس لحدّ إنكار ما قامت عليه اللغة، أي هذا المتن الفصيح الذي لا تزال معانيه قائمةً، وإن أنكرها المنكرون. كما وظّف المنهج الفيلولوجي في صرامته ودقّته، حيث تأثّر بالنظرية الداروينية فاعتبر اللغة كائناً حيّاً

يجسّد التحدّي بالصبر العلمي من أجل توثيق أطوار الضاد

كان الشّغل الشاغل لدوزي حصر الدلالات الجديدة التي طرأت على الكلمات وتوثيقها مع التركيز، فقط، على ما أسماه: «اللغة الحيّة»، أو الوُسطى التي يتعامل عبرها المثقفون مع الضاد.

إلّا أنّه لم يقم بأيّ مجهود نظري لتحديد مفهوم اللغة الحيّة ولا مجالها، ولا الحدود الزمنيّة التي تجعل من كلمة ما مَيّتة أو متروكة. ذلك أنّ ظواهرَ الهَجر والتقادم ليست مُطلقة، فكم من كلمة ظُنّ بها الموتُ والبِلى، فإذا بها حيّة تَسعى في الصحافة والخُطب والمحاورات، حتى الأكثر شعبيّة. كما أنّه لم يميّز بين المتن المعياريّ وبين الاستخدامات الفرديّة، التي ربّما جرت على سبيل الاعتباط والتجريب، فلم تُقرَّها المعاجم لأنها لا تتوافق مع الحدّ الأدنى من معايير الصحّة والمقبوليّة، والتي ربما يكون قد رصدها في أدب الرحلة أو نطق بها لسان إحدى شخصيات «ألف ليلة وليلة»، فلم يكن لها مستقبل في الاستعمال ولا في متون المعاجم، فتسقط ضمن ما يسقط من كلام كثير تُنتجه عفويّاً.

وأخيراً، لا بد من إعادة النظر في ترتيبة الكلمات المقترضة، فليست كلّها على قدم المساواة في المقبوليّة والتداول. فبعضها علميٌّ اقتصر حضوره في الكتب المختصّة، وليس له من حياة خارج هذا السياق، وبعضها مجرّد تعريب فرديّ ضيّق، لا أثر له في الاستخدامات الشعبيّة الواسعة. ومع ذلك، أفرط دوزي في رصد المقترض ودمجه طيَّ عمله هذا. هذا وقد خَصّص المعجمي التّونسي إبراهيم بن مراد مقالاً علميّاً موسّعاً لنقد الهنات والأخطاء التي وقع فيها دوزي، ومنها الاشتباه في الجذور الثلاثيّة التي أعاد إليها المفردات، ومنها بعض الترجمات غير الدقيقة. ونضيف إلى ذلك ماخذاً آخر وهو صمته على أهمّ مَرجع، في تلك الفترة، ولا يزال كذلك إلى أيامنا، وهو معجم اللغوي البولندي كازيمرسكي (1808-1887). فهل إنّ الكتاب لم يصل إليه فعلاً، رغم مرور عشرين عاماً على صدوره؟ أم أنه لم يكن يعتَرف به مجهوداً علميّاً يصلح أن يكون مرجعاً؟ في الوقت الراهن، لا نملك الإجابة عن هذا السؤال، ولن نرجّح فرضيّة التنافس والرغبة في طمس مجهود الغير رغبةً وقع دوزي فريستها.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

رينهارت دوزي في بورتريه لـ يوهان هاينريش نوبحان

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فضْل الصبر والدقّة

تعدّ «التكملة» (الغلاف) التي وضعها دوزي عملاً ألبرا في الجمع والتحقيق، بفضل الـ450 كتاباً، في اكثر من عشر لغات، التي عاد إليها، وبفضل دقّة كل هامش وإحالة رُبطت بها المعاني المذكورة. كما يُجسّد دوزي التحدّي بالصبر العلمي، الذي بات اليوم شبه مفقود، من أجل تصوير موقف لتطور كامل من أطوار الضاد وتاريخها. ولذلك، لا بدّ من عدّه من مرجعيات «معجم الدوحة التاريخيّ»، بما هو تحقيق، بعد قرن ونصف، لاضية الكاتب.

مفكرة المترجم

كاتّني أتقمّص أرواح مَن أنقل نصوصهم

أميرة بدوي

تقف هذه الزاوية مع مترجمين عرب في مشاغلهم وأحوال الترجمة اليوم. «لا أحاول فرض لغتي على النص»، تقول المترجمة المصرية في حديثها لـ«العربي الجديد»

القاهرة ـ **العربي الجديد**

■ كيف بدأت حكايتك مع الترجمة؟

عندما قرّرت استكمال دراستي الجامعية، بعد حرماني من هذا الحق بعد الدراسة الثانوية، اخترت دراسة اللغة الإنكليزية في قسم الترجمة بـ«جامعة القاهرة». كان لديّ شغف منذ صغري بدراسة الإنكليزية، وحبّ للأدب، لذلك قررت متابعة هذا الشغف. ومع تجارب الدراسة في الترجمة، وما يمكن أن أدعوه بتمارين الترجمة آنذاك، كنت مستعدّة لبدء خطوتي الأولى في عالم الترجمة الأدبية للقارئ. في الحالتين، أقدم إلى الناشر مجموعة من العناوين المقترحة، وأحاول إقناعه بأهمّية الكاتب أو أهمية العمل، مع تقديري لمخاوفه التسويقية.

■ هل هناك اعتبارات سياسية لاختيارك بدور المحرّر، هل ثمة من يحرّر ترجماتك بعد الانتهاء منها؟

أسعى دوماً، بعد الانتهاء من الترجمة، إلى أن تكون مثالية: أراجعها عدّة مرات. مع ذلك، أفضّل دوماً التعامل مع محرّر لمراجعة شغلي، من الجيّد النظر إلى النصوص بعينٍ أخرى. إذا كانت لدى البعض مشكلة مع عمليّة التحرير، فأعتقد لأننا لا نعرف فكرة العمل ضمن فريق.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر. ولا سيما في مسألة اختيار العناوين المترجمة؟

يختلف الأمر من ناشر إلى آخر. بعض الناشرين مثقّفون ومتفهّمون، ويقدّرون خبرة أو ثقافة المترجم، ويعرفون أنه من الأفضل الاستماع إليه أكثر من توجيهه، بحكم أنه «مالك» في مدينته، والبعض الآخر يكون لديهم خوف من خوض التجارب الجديدة أو طرح أسماء غير معروفة للقارئ. في الحالتين، أقدّم إلى الناشر مجموعة من العناوين المقترحة، وأحاول إقناعه بأهمّية الكاتب أو أهمية العمل، مع تقديري لمخاوفه التسويقية.

■ ما هي آخر الترجمات التي نشرتها، وماذا تترجمين الآن؟

آخر ترجمتين قدمتهما كانتا لفرجينيا وولف، وهما روايتا «أورلاندو» و«غرفة يعقوب». قرّرت الخوض في عالم وولف لصعوبته، ولاعتقادي بأن الترجمات السابقة ظلمتْها إلى حدّ ما. أما الآن، فأخوض تجربة جديدة في الترجمة غير الروائية، وعندي مشروع لسلسلة من الكتب الفكرية المعاصرة التي تتناول العالم من زوايا فلسفية على وجه الخصوص. وبشكل عام، أهتمّ حالياً بالموضوعات التي تفتقر إليها المكتبة العربية.

■ ما هي، برأيك، أبرز العقبات في وجه المترجم العربي؟

أتخيّل أن المترجم العربي ذاته قد يكون عقبة أمام عملية الترجمة. الترجمة تحتاج إلى مترجم مثقّف، فهو يتعامل مع نصّ يتناصّ أو يعارض مجموعة من النصوص السابقة عليه، ولا بدّ أن تكون لديه معرفة بتلك النصوص . فلا يوجد نص يُولد في الفراغ. إضافة إلى قراءة السياق الثقافي والاجتماعي الذي وُلد. كما قد يعاني المترجم العربي في البداية من ضعف العائد المادي أو من ضيق أفق بعض دور النشر التي تحبّ دوماً اللعب بالورقة المضمونة، وعدم التورّط مع كتّاب لا يعرفهم القارئ مُسبقاً، ممّا يؤدي إلى تُكريس المكرّس والمكرّر.

بطاقة

أميرة بدوي من مواليد عام 1991، حائزة على إجازة في الآداب وترجمة اللغة الإنكليزية من «جامعة القاهرة». أصدرت مجموعة قصصية بعنوان «ست زوايا للصلاة»، ونالت «جائزة طلعت حرب الثقافية». نقلت إلى العربية ثلاث روايات، هي: «تائهة في الحي الإسباني» (منشورات إيبيدي) لهيدي جودريتش، و«أورلاندو» (دار العين للنشر) و«غرفة يعقوب» (مكتبة المتنبي) لفيرجينيا وولف.

للأعمال التي تترجمينها، وإلى أي درجة تتوقفين عند الطرح السياسي للمادة المترجمة أو لمواقف الكاتب السياسية؟

في الحقيقة، لم أترجم عملاً يضعني بوضوح أمام هذه الإشكالية. في النهاية،

لا ينبغي أن يرى القارئ عملي؛ أنا ظلٌّ للكاتب فحسب

قد يمثّل أيّ عمل أزمة سياسية مهما حاول الابتعاد عن السياسة؛ قد يكون تطرّقه للجنس أو للهوية الجنسية أو الجندرية أزمة بالنسبة إلى سياسات دولة ما. لا يُشترَط أن يكون العمل سياسياً ليفعل ذلك.

■ كيف هي علاقتك مع الكاتب الذي تترجمين له؟

يختلف الأمر تبعاً إذا كان عملاً معاصراً أو قديماً. عندما ترجمت رواية «تائهة في الحي الإسباني»، كنت مهتمة بالعودة إلى الكاتبة الأميركية هيدي جودريتش، والتأكّد منها في بعض التفاصيل. ربطتني صداقة قوية بها من ذلك، خصوصاً وأن عملها كان يستكشف مجتمعاً ثقافياً مغايراً لها، وهو ما أميل إليه عند الكتابة الأدبية أيضاً. أما بالنسبة إلى فرجينيا وولف، فكانت بمثابة مرشدة مُلهمة لي. نعم، أتعلّق بشدّة بالكتّاب الذين أترجمهم، لا بنصوصهم فقط، وأشعر أحياناً أنني مختلّة، كأنني أتقمص أرواحهم، أو أسعى إلى ذلك.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أميرة بدوي

متابعة

روايات الأزرق الكبير عشرة أصوات سردية وبحرٌ واحد

استعادة إذاعية لكتّاب المتوسّط

في السلسلة الإذاعية التي تبثّها إذاعة «فرانس كولتور»، يضيء الكاتب الفرنسي ماتياس إينار على تجارب عشرة روائيين من بلدان متوسّطية

باريس ـ **العربي الجديد**

منذ مطلع صيف العام الماضي والكاتب الفرنسي ماتياس إينار، حائزُ جائزة «غونكور» عام 2015 عن روايته «بوصلة»، يقدّم برنامجاً على إذاعة «فرنسا الثقافية» (فرانس كولتور) حول عوالم الكتابة الأدبية، بعنوان «صالة الآلات».

عصرَ كلّ أحد، يستضيف صاحب «شارع اللصوص» مجموعةً من الكتّاب والكاتبات الذين يتحدّثون عن الأروقة الداخلية لتجاربهم، ومشاغلهم الأدبية، ورؤيتهم إلى عدد من الأسماء البارزة في تاريخ الأدب.

قبل أيام، بدأ الكاتب، الذي يتحدّث العربية وعاش لسنوات طويلة بين عدد من البلدان العربية، مثل سورية والمغرب ـ سلسلة إذاعية، على المحطّة نفسها، بعنوان «روايات الأزرق الكبير»، يتوقّف فيها عند أعمال وتجارب عشرة روائيين ينتمون إلى عشرة بلدان متوسطية. وللكتّاب العرب ـ الذين يكتبون بالعربية أو بالفرنسية ـ الحصّة الكبرى في هذه القائمة، حيث تضمّ كلاً من أسيا جبّار، وسليم بركات، والبير قصيري، ومحمّد شكري الذي بدأت معه حلقات السلسلة في السادس عشر من آب/ أغسطس الجاري. وقد دارت الحلقة بشكل أساسي حول رواية «الخبز الحافي»، باعتبارها «سرداً بديعاً» يحكي عوالم البؤس واكتشاف الذات في مدينة متوسّطية هي طنجة.

تحمل كلّ حلقة من السلسلة عنواناً يبدأ بكلمة بحر، مثل «بحر البؤس: محمّد شكري»، عنواناً للحلقة الأولى، و«بحر التكبُّر: البير قصيري» للحلقة الثالثة (بُثّت في الثامن عشر من الشهر الجاري)، أو «بحر المنسيّين: إليف شافاق» للحلقة السادسة (بُثّت في الثالث والعشرين من الشهر الجاري).

قبل قصيري، الذي تناول إينار روايته «شحّاذون ومتكابرون» رفقة الناشرة جويل لوسفيلد والروائي روبير سوليه، عرّج البرنامج على تجربة الجزائرية أسيا جبّار انطلاقاً من عملها «الحبّ، الفانتازيا»، التي فكّكت عوالمها وأشادت بطليعيّتها كلٌّ من الروائية كوثر عظيمي، وعالمة الاجتماع والروائية كوثر حرشي، اللتين استضافهما إينار.

أمّا سليم بركات، فقد عزف الكاتبُ الفرنسي جمهورَ الإذاعة على عوالمه من خلال الوقوف عند كتابه السِّيَري «الجندب الحديدي»، رفقةَ مترجم هذا العمل إلى الفرنسية، فرنسوا زنّال، الذي تحدّث عن استحضار الرواية للعنف السياسي في بلد بركات، سورية، ولتاريخ الأكراد ومظلوميّتهم تحت نظام لا يمنحهم أبسط حقوقهم.

البرنامج الذي حطّ رحاله، في حلقة الأمس، على الشواطئ الإيطالية، في زيارة إلى اشتغالات الكاتبة إلسا مورانتي (1912 ـ 1985)، وخصوصاً روايتها «جزيرة أرتورو»، ينتهي اليوم بحلقة ختامية تُخصَّص للكاتبة الكتالونية، شبه المجهولة عربياً، ميرسه رودوريديه (1908 ـ 1983)، ولا سيّما لروايتها «ساحة اللؤلؤ»، التي تُصوّر أوضاع المجتمع الكتالوني خلال الحرب الأهلية الإسبانية، والتي تُعدّ إحدى أبرز الروايات الكتالانية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

للكتّاب العرب الحصّة الكبرى من الأسماء التي تتناولها السلسلة

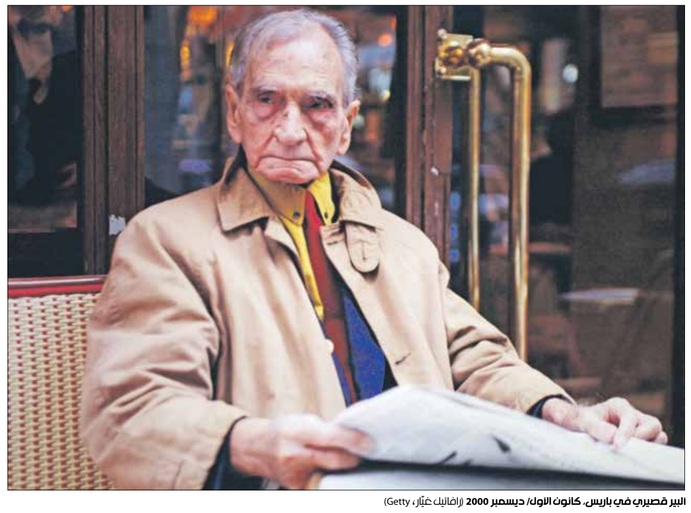

البير قصيري في باريس، كانون الأول/ ديسمبر 2000 (فرانك غيّار، Getty)

فعاليات

يُختتم مساء اليوم السبت **معرض الكتاب الصيفي** الذي اطلقته «رابطة الادباء الكويتيين» في العاصمة الكويت في الحادي والعشرين من الشهر الجاري بمشاركة اربع وعشرين دار نشر محلية. اختار المعرض الكاتب والشاعر الكويتي **فاضل خلف** (1927) شخصيةً له، تكريماً لدوره في تكريس الحداثة الشعرية ببلاده.

دور المكتبات العامة والخاصة في الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي عنوان ندوة تنظّمها «مكتبة قطر الوطنية» في الدوحة عند الرابعة من مساء اليوم السادس من الشهر المقبل. يشارك في الندوة التي تقام ضمن فعاليات «الدوحة عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي» الباحثون **حمد الكواري**، و**محمد زين العابدين**، و**عبير الكواري**، و**مكسيم نصرة**، و**سوزان ليفي**، و**محمود زكي**.

تقيم «مكتبة الإسكندرية» في الثاني عشر من الشهر المقبل **مؤتمر المخطوطات بالحرف العربي في افريقيا** والذي يتواصل افتراضيا لخمسة أيام. يشتمل المؤتمر على ست جلسات حول التقاليد التاريخية للمخطوطات العربية في افريقيا، واللغات الافريقية المكتوبة بالحرف العربي، وفهرستها و تحقيقها وحفظها.

حتى التاسع من ايلول/ سبتمبر المقبل، يتواصل معرض **الشعر الارضي** في «غاليري موجو» في بيروت. يشارك في المعرض ـ الذي افتتح نهاية الشهر الماضي ـ كلّ من الفنانات: **ندى رزق**، و**كوليت ارسلان**، و**ماريان سرجي**، و**وداد يزبك**، و**ياسمينة خليفة**، و**زينا ابو الحصن**، و**غيتا ملكي**، و**نجوى نحّاس**، و**رنى يازجي**.